المناظرة في القرآن

(رد على مقالة الطائفة الأشعريّة)

لابن قدامة المقدسي

المتوفى عام ٦٢٠هـ

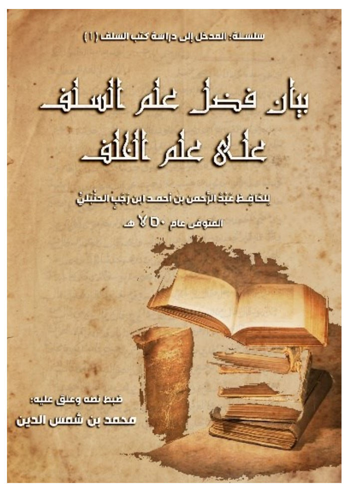


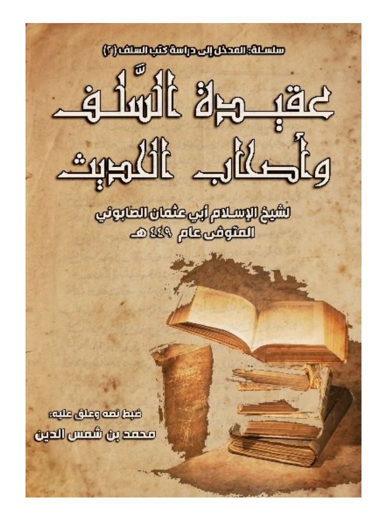
هذا الكتاب جزء من كتاب جامع بعنوان

«مناظرة القائلين بخلق القران»

لمحمد بن شمس الدين

صدر من سلسلة المدخل إلى دراسة كتب السلف







للمراسلة في شؤون تخص الكتاب على islamspedia@gmail.com

الفهرس□

مقدمة التحقيق

التعريف بابن قدامة المقدسي

وهو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قُدَامَةَ بنِ مِقْدَامِ بنِ نَصْرٍ المَقْدِسِيُّ، الجَمَّاعِيْلِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الصَّالِحِيُّ، الحَنْبَلِيُّ. المعروف بمُوَفَّقِ الدين ابن قدامة المقدِسي. كَانَ عَالِمَ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ.

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: كَانَ إِمَامَ الحَنَابِلَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ ثِقَةً، حُجَّةً، نبيلاً، غزِيْرَ الفَضْلِ، نَزِهاً، وَرِعاً، عَابِداً، عَلَى قَانُوْنِ السَّلَفِ، عَلَيْهِ النُّوْرُ وَالوَقَارُ، يَنْتَفعُ الرَّجُلُ برُؤيتِهِ قَبْلَ أَنْ يسمع كَلاَمَهُ.

وقال أحمد ابن تيمية: «الشيخ الإمام المتفق على إمامته وعلمه وصلاحه وكراماته أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي» [١]

وقال اسماعيل ابن كثير: «إِمَامٌ عَالِمٌ بَارِعٌ، لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ بَلْ وَلَا قَبْلَ دَهْرِهِ بِمُدَّةٍ، أَفْقَهُ مِنْهُ» [٢]

---

[١] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج٤ص١٢٩١)

[٢] البداية والنهاية ط هجر (ج١٧ص١١٧)

من شيوخه

- أبو المكارم عبد الواحد بن محمّد بن المسلم بن هلال.
- أبو المعالي عبد الله بن عبد الرّحمن بن صابر السّلمي.
- أبو زرعة طاهر بن محمّد بن طاهر المقدسيّ.

من كتبه:

- المغني (شرح مختصر الخرقي)
- إثبات صفة العلو.
- لُمعة الاعتقاد.
- عمدة الفقه (على مذهب الإمام أحمد)
- المقنع (على مذهب الإمام أحمد)
- الكافي (على مذهب الإمام أحمد)
- روضة الناظر وجنة المُناظر (في أصول الفقه)
- كتاب التَّوَّابين.

أهمية هذا الكتاب

هذا الكتاب أجاب فيه الشيخ عن شبهات الطائفة الأشعريَّة بعد مناظرته لهم، وهو يتميَّزُ بأنَّ مؤلفه عايش الأشعريَّة وعرف بدعتهم وناظرهم، ورد على بدعتهم وشبهاتهم خاصة، إذ لهم شبهات لم يُسبَقوا إليها.

وقد تكلَّم الشيخ ابن قدامة عن هذه الطائفة ومؤسسها وخطر بدعتها هذه.

ويحتوي هذا الكتاب على قواعد مهمة جدا في رد شبهاتهم، منها الاحتجاج بالإجماع، ومنها الاحتجاج باعتقاد السلف، ومنها أن القول في بعض الصفات كالقول في غيرها.

عملي في هذا الكتاب

- ضبطت النص ونسَّقته.
- قد أكمل الآية التي يذكر المؤلف جزءً منها.
- وضعت العناوين للفصول، وجعلتها بين معقوفتين [ ]
- بيَّنت ما تيسَّر من الألفاظ والعبارات التي قد تشكل على القارئ.
- عززت بعض ما جاء في الكتاب بالنقل عنهم مِن كتبهم.
- جعلت أرقام الحواشي منها ما هو إلى الأعلى (١) وهذا ما فيه شرح مفردات أو فوائد، ومنه منخفض [١] وهو ما فيه تخريج أو تنبيه متعلق بالمخطوط.
- وقد اعتمدت على مخطوطة المكتبة الظاهرية وهي ضمن مجاميع العمرية (١١٦) وكذلك مخطوطة جامعة أم القرى (b11489200) إلا أن هذه الأخيرة ناقصة وآخرها الكلام عن أن القرآن حروف، وما يلي ذلك من كلام عن الأشعريَّة وتصريح بذمِّهم وتبديعهم مفقود منها.

[كتاب المناظرة في القرآن]

[مقدمة]

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

قَالَ الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم الْفَقِيه موفق الدّين، شيخ الاسلام مفتي الْأَنَام سيد الْعلمَاء، أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن قدامَة الْمَقْدِسِي رَضِي الله عَنهُ وأرضاه:

الْحَمد لله رب الْعَالمين وَصلى الله على مُحَمَّد النَّبِي وَآلِه أَجْمَعِينَ، أما بعد، فَإِنَّهُ تكَرر سُؤال بعض أَصْحَابنَا عَن حِكَايَة مناظرة جرت بيني وَبَين بعض أهل الْبِدْعَة فِي الْقُرْآن، فَخِفتُ من الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان فَرَأَيْت أن أذكر ذَلِك على غير سَبِيل الْحِكَايَة، كي لَا تكون الزِّيَادَةُ فِي الْحُجَجِ والأجوبَةِ عَن شُبَهِهِمْ كذِبًا، مَعَ تَضَمُّنِ ذَلِكَ لأَكْثرِ مَا جرى إن شَاءَ الله سُبْحَانَهُ، وَالله الْمُوفِّقُ والمُعينُ وَهُوَ حَسبُنَا وَنِعم الْوَكِيلِ.

[الخلاف في القرآن]

فَنَقُول: مَوضِعُ الْخِلافِ أَنَّنَا نعتَقِدُ أن الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ وَهُوَ[١] هَذِه الْمِئَةُ والأربع عشرَة سُورَةً، أولهَا سُورَةُ الْفَاتِحَة وَآخِرهَا المعوِّذات، وأنه سُوَرٌ وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، مَتْلُوٌّ مَسموعٌ مَكْتُوبٌ.

وَعِنْدهُم[٢]

- أن هَذِه السُّور والآيات لَيست بقرآن وَإِنَّمَا هِيَ عبارَة عَنهُ وحكاية.
- وأنها مخلوقة.
- وَأن الْقُرْآن معنًى فِي نفس الْبَارِي.
- وَهُوَ شَيْء وَاحِد لَا يتجَزَّأ وَلَا يَتَبَعَّض وَلَا يَتَعَدَّد.
- وَلَا هُوَ شَيْء يُنَزَّلُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسمَعُ[٣] وَلَا يُكْتَبُ.

---

(١) الضمير يعود إلى القرآن لا إلى كلام الله.

(٢) الأشعرية

(٣) يقول الأشعري وأتباعه بأنه يمكن أن يُسمَع مع أنه ليس صوتًا [إحياء علوم الدين ج١ص٩١] وقال الماتريدي بعدم إمكانية السماع، لأنه لا يمكن أن يسمع إلا الصوت [التوحيد للماتريدي ص٥٩]، غير ان الأشاعرة والماتريدية متفقون على الإنكار والكفر بصوت الله تعالى، وقد بينَّا الرد عليهم في حاشية "فضل علم السلف" ص٤٣.

- وَأنه لَيْسَ فِي الْمَصَاحِف إِلَّا الْوَرق والمِداد[١].

وَاخْتلفُوا فِي هَذِه السُّور الَّتِي هِيَ الْقُرْآن.

فَزعم بَعضهم أنها عبارَةُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام، هُوَ الَّذِي أَلَّفَهَا بإلهامِ الله تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ[٢].

وَزعم آخَرُونَ مِنْهُم أن الله تَعَالَى خلقهَا فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ فَأَخذهَا جِبْرِيل مِنْهُ[٣].

---

(١) المِداد: الحِبر.

(٢) قال الباقلاني الأشعري: «والمنزول به هو اللغة العربية التي تلا بها جبريل، ونحن نتلوا بها إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى قطر: قولُ جبريلَ عليه السلام، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ... وهذا إخبارٌ مِن الله تعالى بأن النظمَ العربي الذي هو قراءةُ كلامِ اللهِ تعالى: قولُ جبريلَ» [الإنصاف ص١٤٧]

(٣) قال فخر الرازي الأشعري: «فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، بِمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الَّذِي رَتَّبَهُ وَنَظَّمَهُ» [تفسير الرازي، الحاقة:٤٠] وقال: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ سَمِعَ جِبْرِيلُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ سَمْعًا لِكَلَامِهِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى عِبَارَةٍ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَلَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فَقَرَأَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَفِظَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَصْوَاتًا مُقَطَّعَةً

=

[شبهة تعدد السُّوَر]

وَاحْتَجُّوا على كَون هَذِه السُّور مخلوقة بِأَنَّهَا تَتَعَدَّد، وَلَا يَتَعَدَّدُ إِلَّا الْمَخْلُوق.

[الجواب] وَهَذَا يَبطُلُ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا صِفَاتٍ مُتعَدِّدَةً؛ مِنْهَا السّمعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْعلمُ، والإرادةُ، وَالْقُدْرَةُ، والحياةُ، والكلامُ، وَلَا خلافَ فِي أَنَّهَا قديمَة[1]. وَكَذَلِكَ أسماءُ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا مُتعَدِّدَةٌ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠] وَقَالَ النَّبِي ﷺ «إن لله تَعَالَى تِسْعَةً وتسعين اسْما، مئَةً إِلَّا وَاحِدًا، من أحصاها دخل الْجنَّةَ» فَثَبت تعدادُها بِالْكتابِ وَالسُّنةِ الْإِجْمَاعِ، وَهِي قَديمَةٌ. وَقد نَصَّ الشَّافِعِيُّ رَحمَه الله على أن أسمَاءَ الله تَعَالَى غيرُ مخلوقةٍ، وَقَالَ احْمَدُ رَحمَه الله «من زعم أن أسماء الله تَعَالَى مخلوقة فقد كفر»

وَكَذَلِكَ كَلِمَاتُ الله تَعَالَى مُتعَدِّدَةٌ، قَالَ الله تَعَالَى ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ

بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فِي جِسْمٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَلَقَّفهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْلُقَ لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّهُ هُوَ الْعِبَارَةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ» [تفسير الرازي، البقرة:٤]

(١) كلمة قديمة عندهم بمعنى أنها لم تحدث بعد أن كانت معدومة.

مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩] وَهِي قديمَةٌ.

وَكَذَلِكَ كُتبُ الله تَعَالَى فَإِنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ مُتعَدِّدَةٌ وَهِي غيرُ مخلوقةٍ، وَإِن قَالُوا: «هِيَ مخلوقة» فقد قَالُوا بِخلقِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَول الْمُعْتَزلَةِ، وَقد اتفقنا على ضلالهم[١]، وَاتفقَ المُنتمونَ إِلَى السَّنةِ على أن الْقَائِلَ بِخلقِ الْقُرْآنِ كَافِرٌ[٢]، مِنْهُم من قَالَ: «كفر ينْقل عَن الْمِلَّة» وَمِنْهُم من قَالَ: «لَا يَنْقُلهُ عَنْهَا»

فَمَتَى قَالُوا بِخلق الْقُرْآن وَغَيره من كتب الله تَعَالَى؛ فقد قَالُوا بقول أقرُّوا بِكفْر قَائِله!

وَإِن أقرُّوا بهَا غيرَ مخلوقةٍ وَهِي مُتعَدِّدَةٌ فقد بَطَلَ قَوْلُهُم.

---

(١) أي: اتفقنا نحن والأشاعرة والماتريدية على ضلال المعتزلة.

(٢) قال أبو زرعة وأبو حاتم: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم» ... قالوا: «ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر» [شرح أصول أهل السنة ٣٢١]

وللمزيد مما نقل عن أهل السنة في هذا؛ انظر: السنة لعبد الله بن أحمدن في الفصل الأول منه، وانظر: شرح أصول أهل السنة للالكائي، فصل: سياق ما روي عن من أفتى في من قال: القرآن مخلوق.

وإن قَالُوا: هي شَيْءٌ وَاحِدٌ غيرُ مُتعَدِّدَةٍ؛ فقد كابَروا، وَيجب على هَذَا أن تكونَ التَّوْرَاةُ هِيَ الْقُرْآنُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأن مُوسَى لما أُنزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ؛ فقد أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُلُّ كتابٍ للهِ تَعَالَى، وأَنَّ نَبِيَّنَا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ فقد أُنزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأَنَّ من قَرَأَ آيَةً من الْقُرْآنِ فَقَدْ قَرَأَ كُلَّ كِتَابٍ للهِ تَعَالَى، وَمن حفِظَ شَيْئًا مِنْهُ؛ فقد حَفِظَهُ كُلَّهُ، وَيَجِبُ على هَذَا أن لَا يَتعَبَ أُحْدٌ فِي حِفظِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ يحصُلُ لَهُ حِفظُ كُلِّ كتابٍ للهِ تَعَالَى بِحِفْظِ آيَة مِنْهُ، وَيَجِبُ أن يكونَ النَّبِيُّ ﷺ لمَّا أنزلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ؛ قد أَنْزَلَ عَلَيْهِ جَمِيعَهُ وَجَمِيعَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ، وَهَذَا خِزيٌ على قَائِلِهِ، ومكابَرَةٌ لنَفسِهِ.

وَيجبُ على هَذَا أن يكونَ الْأمرُ هُوَ النَّهْي، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ النَّفْيُ، وقِصَّةُ نوحٍ هِيَ قصَّةُ هودٍ وَلُوطٍ، وَأَحَدُ الضِّدَّينِ هُوَ الآخَرُ، وَهَذَا قَولُ من لَا يستحيي، وَيُشبهُ قَولَ السوفسطائية[1].

وَقد بَلغنِي عَن وَاحِد مِنْهُم يقال له ابن فورك أنه قيلَ لَهُ: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ هِيَ سُورَةُ آل عَمرَان؟» قَالَ: «نعم»

(١) السوفسطائية: مذهب فلسفي، وأهله يقدمون أدلة فاسدة موهمة، أحيانا ينكرون بها أشياءً حسية أو يقينية.

[شبهة أن كلام الله لا ينزل]

وَإن قَالُوا: إن كَلَام الله عز وَجل هُوَ هَذِه الْكتب، وَإن التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ عزَّ وَجلَّ الْقَدِيمُ، لَكِنْ لم ينزل مِنْهُ شَيْءٌ على الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا هُوَ شيٌ يُحفَظُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسمَعُ، وَإنَّمَا أنزَلَ عِبَارَتَه.

[الجواب] كذَّبَهم القُرآنُ والسّنةُ وإجمَاعُ الأمةِ؛ فَإنَّهُ لَا خلافَ بَينَ المُسلمينَ كلَّهم أنَّ القُرآنَ أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ، وأنَّ التَّورَاةَ أُنزِلَتْ على مُوسَى، والإنجِيلَ على عِيسَى، والزَّبُورَ على دَاوُدَ، واللهُ عزَّ وجلَّ يَقُول: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يُوسُف ١-٢]

وقَالَ سُبحَانَهُ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشُّعَرَاء ١٩٢-١٩٤]

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان:٣٢]

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ

ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[الزخرف:٣١]

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]

وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]

وقَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾[الأنعام٩٢ / الأنعام ١٥٥] ومثل هَذَا كثير.

وقد كفَّرَ الله تَعَالَى اليَهُود بقَولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾[الأنعام:٩١] ثمَّ قَالَ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾[الأنعام:٩١] ثمَّ قَالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾(١) [الأنعام:٩١]

---

(١) ﴿قل الله﴾ هي جواب: ﴿مَن أنزل الكتاب...﴾

وقَالَ عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾[الأنعام:١١٤]

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ الآيَة [آل عمران ٧] ومثلُ هَذَا كثيرٌ.

وقَالَ النَّبِي -عَلَيهِ السَّلَام- «أُنزِل القُرآن على سَبعَة أحرف»[١] والسّنةُ مَملُوءَةٌ مِنهُ(٢)

[شبهة أنَّ كتاب الله غير القرآن]

فَإن قَالُوا: فكِتابُ اللهِ غيرُ القُرآنِ.

[الجواب] قُلنَا: خالفتُم ربَّ العَالمِين، وخَرَقتم إجمَاعَ المُسلمين، وجئتم بِمَا لم يَأتِ بِهِ أحدٌ من المُلحِدِينَ، فَإنَّهُ لَا خلافَ بَين المُسلمينَ أنَّ كتابَ اللهِ هُو القُرآنُ العَظِيمُ المُنَزَّلُ على سيدِ المُرسلينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ، واللهُ تَعَالَى قد أخبرَ بذلك، فَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ

---

[١] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨)

(٢) أي: من هذا المعنى.

ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ۝٢﴾[يوسف:١-٢]

وقَالَ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ۝٣﴾[الزخرف ١-٣]

وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝٣﴾[فصلت:١-٣]

وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ۝٣٠﴾[الأحقاف ٢٩-٣٠] فَسَموهُ قُرآنًا وكتابًا.

وقَالَ فِي مَوضِع آخر: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا۝٢﴾[الجِنّ ١-٢] ولَا يخفى هَذَا إلَّا على من أعمى اللهُ قلبَه واضلَّه عَن سَبيلِه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ۝٣٣﴾[الرعد:٣٣]

[شبهة أن الحروف والأصوات لا تخرج إلا مِن مخارج وأدوات]

واحتَجُّوا ايضا بِأن هَذِه الحُرُوف لَا تخرج إلَّا من مخارجٍ وأدواتٍ، فَلَا يجوز إضَافَة ذَلِك إلَى الله سُبحَانَهُ[١].

والجَواب عَن هَذَا من أوجُهٍ:

أحدهَا: مَا الدَّلِيلُ على أنَّ الحُرُوف لَا تكون الا مِن مخارجٍ وأدواتٍ؟

فَإِن قَالُوا: لأننا لَا نَقدِرُ على النُّطقِ بهَا إلَّا من مخارجٍ وأدواتٍ؛ فَكَذَلِك اللهُ ربُّ العَالمينَ؛ قُلنَا: هَذَا قِيَاسٌ للهِ تَعَالَى على خلقِه، وتشبيهٌ لَهُ بِعِبادِهِ، وإلحاقٌ لصفاتِهِم بصفاتِه، وهَذَا من أقبَحِ الكُفرِ، وقد اتَّفَقنا أن اللهَ تَعَالَى لَا يُشَبَّهُ بِخَلقِه وأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١]

الثَّانِي: إن هَذَا بَاطِلٌ بِسَائِرِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، فَإِن العِلمَ لَا يكونُ فِي

(١) قال الشهرستاني الأشعري: «فإن أثبتوا حروفا هي أصوات مقطعة فلا بد لها من اصطكاكاتِ أجرامٍ حتى يتحقق الصوت...» قال: «فيلزم على ذلك أن يكون الباري جسما متحركا ذا اصطكاك في أجزاء جسمية، ويتعالى الرب سبحانه عن ذلك علوا كبيرا» نهاية الإقدام إلى علم الكلام

وقال الآمدي الأشعري: «إذ الأصوات لا تكون إلا عن اصطكاك أجرام صلبة من قرع، أو قلع» أبكار الأفكار ج١ص٣٨٦.

حَقنا إلَّا بِقَلبٍ، والسمعَ لَا يكونُ إلَّا من انخراقٍ، والبَصَرُ لَا يكونُ إلَّا من حَدَقَةٍ، والله تَعَالَى عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ولَا يُوصَفُ بذلِكَ، فَإن نَفَيتُم الكَلَامَ لافتقارِه -فِي زعمكم- إلَى المَخارِجِ والأدواتِ فَيَلزَمُكُم نفيُ سَائِرِ الصِّفَاتِ، وإن أثبَتُّم لَهُ الصِّفَاتِ ونفيتُم عَنهُ الأدواتِ؛ لَزِمَكُم مثلُ ذَلِكَ فِي الكَلَامِ، وإلَّا فَمَا الفرقُ بَينهمَا؟!

الثَّالِث: إن الله تَعَالَى أنطَقَ بعضَ مخلوقاتِهِ بِغَيرِ مخارِجٍ، فَإنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾[يس:٦٥]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾[سورة فصلت:٢٠-٢١]

وأخبَرَ عَن السَّمَاء والأرض أنَّهمَا ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾[فصلت:١١]

وأخبر النَّبِي ﷺ أن حجرا كَانَ يسلم عَلَيهِ[١]، وسبح الحَصَى فِي يَدَيهِ [٢].

وقَالَ ابن مَسعُود «كُنَّا نسمع تسبيحَ الطَّعَام وهُو يُؤكَل»[٣] ولَا خلاف فِي أن الله تَعَالَى قَادرٌ على إنطاقِ الحَجَرِ الأَصَمِّ مِنْ غَيرِ مَخَارِجٍ، فَلِمَ لَا يَقدِرُ سُبحَانَهُ على التَّكَلُّم إلَّا من المَخَارِجِ؟! [٤]

---

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» رواه مسلم (٢٢٧٧)

[٢] [غير ثابت] عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «تَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ حَصَيَاتٍ أَوْ تِسْعَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ» رواه ابن أبي عاصم (١١٨٠) والبزَّار (٤٠٤٠) والطبراني في الأوسط (١٢٤٤) و(٤٠٩٧) والشاميين (٢٤٦) وأسانيد هذا الخبر لا تقوى مع شهرته، وقد أورده ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٣٢٦)

[٣] رواه البخاري (٣٥٧٩).

(٤) وإننا نستغرب ونتعجَّب من أناس يرددون هذه الشبهة اليوم وهم يسجلون أصواتهم ويسمعونها بمكبرات الصوت، ويرونها بأعينهم تصدر صوتًا بحروف مفهومَة بدون أن يكون لها فم ولا أسنان ولا حنجرة، ثم يرددون هذه الشبهة أن الله -حاشاه- إذا تكلم فلابد من أن يكون له فم وأسنان وحنجرة، فترى من يدعي العقل والنظر كيف أنه يردد شبهة قيلت بجهل قبل أكثر من ألف سنة دون أن يحاول إعادة النظر فيها أو تطويرها بعدما علم أن الصوت ليس من شروطه الأسنان والرئتين والحنجرة، إلا أنَّ هذا سببه تصوُّرهم أنَّ الله قد يشابه البشر إذا أثبتنا له الصفات.

[شبهة تعاقب الحروف]

واحتَجُّوا بَان الحُرُوف يدخُلُهَا التَّعَاقُب؛ فَيَسبِقُ بَعضَهَا بَعضًا[١].

والجَواب: إنَّ هَذَا إنَّمَا يلزَمُ فِي حَقِّ مَنْ يتَكَلَّم بالمَخَارِجِ والأَدَوَاتِ،

---

(١) هذا الاعتراض كتبه الجويني الأشعري في «الإرشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد» ص١٤٩.

ومعناه مثلا ﴿بسم الله﴾ الباء قبل السين، والسين بعد الباء. وهذا يخالف دين الجهمية من جهتين:

الأولى: أن هذا يلزم منه أن الله عنده زمان، وعنده قبل وبعد، وهذا ينافي دينهم.

والثاني: أن هذا الحرف الذي جاء بعد غيره فهو قطعا كان بعد أن يكن، وهذا عندهم مخلوق، لأنه بالنسبة لهم، كل ما كان بعد أن لم يكن مَخلوق، وهذا ما يبنون عليه أكثر ضلالاتهم.

ولأن جواب الشيخ لم يكن مستوعبًا دحر هذه الشبهة، فأقول:

جواب الأولى: إن الله تعالى قال ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فوقع الحق وبطل بذلك قولهم، ثم تلي هذه الآية جميع ما أثبتناه من أفعال الله تعالى كالاستواء، والنزول، وبسط الأدلة في ذلك يطول.

وأما جواب الثانيَة: فهم بنوا قولهم على قاعدة «كل حادث مَخلوق» وهذه القاعدة غير متفق عليها إلا بينهم وبين إخوانهم الفلاسفة، أما نحن فنقول: إن الله تعالى يفعل ما شاء كما شاء متى شاء، وشاهِد قولنا ما أجمع عليه الأنبياء آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمدٍ عليهم صلوات الله وسلامه في قولهم يوم القيامة: « إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» [رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)] فأثبتوا غضب الله تعالى الذي يكون يوم القيامة أنه كان بعد أن لم يكن قبله مثله، ولن يكون بعده مثله، ولا يقول عاقل أن غضب الله مخلوق، فتعلم يقينًا أن ما كان من صفات الله تعالى وأفعاله لا يسمى مخلوقًا، ولا يقاس على غيره.

واللهُ سُبحَانَهُ لَا يُوصَفُ بذلكَ، وعَلى أن هَذَا يعودُ إلَى تَشبِيهِ اللهِ تَعَالَى بعبادِه، وأنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ إلَّا مَا يُتَصَوَّرُ مِنهُم؛ وهُو بَاطِل فِي نَفسه.

[بيان أنَّ السور التي فيها حروف قرآن]

فَإن قَالُوا فَمَا دليلكم على أن هَذِه السُّور المُشتَمِلَة على الحُرُوفِ قُرآنٌ؟

[الجواب] قُلنَا: كتابُ اللهِ تَعَالَى، وسنةُ نبيِّهِ عَلَيهِ السَّلَامُ، وإجمَاعُ الأمَّةِ.

أما كتابُ اللهِ تَعَالَى: فَقَوله سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس:٦٩] فَأخبر الله تَعَالَى أن الَّذِي سَمَّوهُ شِعرًا؛ قُرآنٌ مُبينٌ، ومَا لَيسَ بِحُرُوفٍ لَا يجوز أن يكونُ شِعرًا عِند أحَدٍ، فَلَمَّا ثَبتَ أنهم سمَّوهُ شِعرًا؛ دلَّ على أنه حُرُوفٌ.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء:٨٨] فَأشَارَ إلَى حَاضِرٍ، وتحدَّاهم بالإتيانِ بِمِثلِهِ، ولَا يجوزُ التحدي

بِمَا لَا يُعلَمُ ولَا يُدرَى مَا هُو[1].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾[النمل:٧٦]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا

---

(١) الواقع أن هذا الرد ليس بحجَّةٍ عليهم، إلا إذا كان السؤال «مَا دليلكم على أن هَذِهِ السُّور المُشتَمِلَة على الحُرُوفِ هي الـقُرآنُ؟» لأن الأشاعرة عندهم القرآن قرآنان:

قرآن مخلوق، وهو ما نقرأه، وهذا الذي تحدى الله الكفار أن يأتوا بمثله.

وقرآن غير مخلوق وهو علم الله، يقول الرازي: «انَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِ اللَّه تَعَالَى، وَعَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّبَةَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، وَالتَّحَدِّي إِنَّمَا وَقَعَ بِهَا لَا بِالصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ» [تفسير سورة يونس ٣٧ الى ٣٩] وليس عند هؤلاء دليل على كلامهم إلا أنهم أعجبهم كلام المعتزلة، وأعجبهم كلام أهل السنة فحاولوا خلط الحق بالباطل، فخرجوا بقول ثالث أكثر بطلانًا مِن قول المعتزلة.

فلابد من الاحتجاج عليهم بأن القرآن ليس إلا كلام الله تعالى المبدوء بالفاتحة والمختوم بالناس، وهذا فقط هو القرآن.

وإنه لمِن المحزنِ أن نحتاج إلى أن نحتَجَّ على أناس مِن أهل القِبلَة بأنَّه ليس عندنا إلا قرآن واحد، وأنَّ هذا القرآن هو ما نقره في صلاتنا، فانظر شؤم البِدعة.

مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾[الحشر:٢١]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾[يونس:١٥]

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[الأنفال:٣١]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١﴾[الزخرف:٣١]

فَأخبر الله تَعَالَى عَنهُم أنهم طَلبُوا مِنهُ الإتيَانَ بِغَيرِهِ أو تبديلَه، ومرَّةً أنهم ادعَوا القُدرَةَ على أن يَقُولُوا مثلَه، ومرَّةً قَالُوا: «لَولَا أنزل على غَيره»؛ عُلمَ يَقِينًا أنَّه هَذَا المَوجُود عندنَا الَّذِي هُو سُوَرٌ وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ.

وقالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾[الإسراء:٨٩]

وقالَ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾[الإسراء:٤١]

وقالَ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤﴾[الكهف:٥٤]

وقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾[الزمر:٢٧-٢٨] وهَذِه إشَارَةٌ إلَى حَاضرٍ، والَّذِي صُرِّفَتْ فِيهِ الأمثَالُ إنَّمَا هُو هَذَا القُرآنُ العَرَبِيُّ الَّذِي يعرِفُهُ النَّاسُ قُرآنًا، وسَماهُ الله تَعَالَى ﴿عَرَبِيًّا﴾ وهَذَا إنَّمَا يُوصَفُ بِهِ النَّظمُ الَّذِي هُو حُرُوفٌ دون مَا لَا يُعرَفُ ولَا يُدرَى مَا هُو.

وقالَ عزَّ وجل: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[فصلت:٣]

وقالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشُّعَرَاء ١٩٢-١٩٥]

وقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾[طه:١١٣]

وقَال ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[يوسف:٢]

وقَالَ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾[الأحقاف:١٢]

وهَذِه الآيَاتُ وأشباهُهَا فِي كتابِ اللهِ تَعَالَى كثيرٌ، تدُلُّ بمجموعِهَا على أنَّ القُرآنَ؛ هَذَا الَّذِي هُو سُوَرٌ مُحكماتٌ وآياتٌ مُفَصَّلاتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، وإن تَطَرَّقَ احتِمَال [إلى][١] بَعضهَا فَلَا يتَطَرَّق إلَى مجموعها.

وقَالَ النَّبِي ﷺ «إن هَذَا القُرآن مأدُبَةُ اللهِ فتعلمُوا مِن مأدُبتِه مَا استَطَعتُم، إن هَذَا القُرآنَ هُو حَبلُ الله تَعَالَى، هُو النُّور المُبينُ والشفاءُ النافع، عصمَةٌ لمن تمسَّكَ بِهِ، ونَجَاةٌ لمن تبعَه، لَا يعوَجُّ فَيُقَوَّمُ، ولَا يزِيغُ فيُستعتَبُ، ولَا تَنقَضِي عَجائِبُهُ، ولَا يَخلَقُ عَن كَثرَة الرَّد، فاتلوه فَإن اللهَ

[١] غير موجودة في المخطوط، وأضفتها لأن السياق يقتضيها.

يَأجُركُم على تِلَاوتِه بِكُل حرفٍ عشرُ حَسَنَات، أما إنِّي لَا أقُول ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، ولَكِن فِي الألف عشر، وفِي اللَّام عشر، وفِي المِيم عشر»

ورُوِيَ ايضًا عَن ابن مَسعُود مَوقُوفًا عَلَيهِ[1]، والسّنةُ مُشحُونةٌ بذلك.

والأمةُ مُجمِعَةٌ على أنَّ هَذَا هو القُرآنَ؛ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إلا بِهِ، ولَا تصح الخُطبَةُ إلَّا بِآيَةٍ مِنهُ، ولَا يَقرَأُهُ حَائِضٌ ولَا جُنُبٍ[2].

ولَمَّا اختلفَ أهلُ الحقِّ والمعتزلةُ، فَقَالَ أهلُ الحقِّ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ، وقَالَتِ المُعتَزلَةُ: هُو مَخلُوقٌ؛ لم يَكُنِ اختلَافُهُم إلا فِي هَذَا المَوجُودِ، دون مَا فِي نفس البَارِي مِمَّا لَا يُدرَى مَا هُو ولَا نعرِفُهُ.

ولَمَّا أمَرَ اللهُ تَعَالَى بترتيلِ القُرآنِ بقولِه سُبحَانَهُ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤] لم يَفهَمْ مِنهُ المُسلمُونَ إلَّا هَذَا المَوجُودُ.

ولما قَالَ الولِيدُ بنُ المُغيرَةِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر:٢٥] إنَّمَا

---

(١) الموقوف: أي من كلام الصحابي.

(٢) القراءة في الخطبة وقراءة الحائض.

أشَارَ إلَى هَذَا النّظمِ[1]، فَتَوَعَّدَه اللهُ عزَّ وجَلَّ فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾[المدثر:٢٦]

ولَمَّا قَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[سبأ:٣١] إنَّمَا أشاروا إلَيهِ.

ولَمَّا قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لم يَعنوا غيرَه.

ولَو لَم يكُنْ هَذَا النّظمُ قُرآنًا لَوَجَبَ أن تَبطُلَ الصَّلَاةُ بِهِ لِأن النَّبِي ﷺ قَالَ: «إن صَلَاتنَا هَذِه لَا يَصلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسبِيحُ والتَّكبِيرُ وقِرَاءَةُ القُرآنِ» فعلى قَول هَؤُلَاءِ المَخذُولينَ: يكونُ القُرآنُ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إلَّا بِهِ؛ مُبطِلًا لَهَا لِأنَّهُ لَيسَ بقرآنٍ وإنَّمَا هُو عبارةُ جِبرِيلَ، وهَذِه فضيحةٌ لم يُسبقُوا إلَيهَا[2].

[مخالفة الأشعري وأتباعه للإجماع، وبيان ضلالهم]

وأجمع المُسلمُونَ على أنَّ فِي القُرآنِ نَاسِخًا ومَنسُوخًا، وإنَّمَا يتَعَلَّقُ هَذا

---

(١) النظم: الكلام المنظوم المرتب بترتيب معيَّن.

(٢) **والفضيحة الثانية**: إنهم إن صدقوا بأن الكلام هو ما في النَّفسِ؛ لكانت الصلاة تبطل إذا فكَّر الشخص بشيء مِن الأمور، وهذا لا ينفكُّ أحدٌ عنه، وهو غير مبطل للصلاة بالإجماع.

بالنّظم دون مَا فِي النَّفسِ.

وأجمعُوا على أن القُرآن مُعجِزٌ لِلخَلقِ؛ عجزوا عَن الإتيَانِ بِعَشرِ سُوَرٍ مِثلِه، أو سُورَةٍ مثلِه، وإنَّمَا يتعَلَّقُ ذَلِك بِهَذَا القُرآنِ، وهُو هَذَا القُرآنُ الَّذِي أجمَعَ عَلَيهِ المُسلمُونَ، وكَفَرَ بِهِ الكَافِرُونَ، وزَعَمَتِ المُعتَزلَةُ أنه مَخلُوقٌ، وأقرَّ الأشعَرِيُّ أنهم مُخطِئونَ ثمَّ عَادَ فَقَالَ: «هُو مَخلُوقٌ ولَيسَ بقرآنٍ» فَزَاد عَلَيهِم.

ولَا خلاف بَينَ المُسلمينَ أجمَعِينَ أنَّ مَن جَحَد آيَةً أو كَلِمَةً مُتَّفَقًا عَلَيهَا أو حرفًا مُتَّفقًا عَلَيهِ؛ أنه كَافِرٌ، وقَالَ عَلِيّ رَضِي الله عَنهُ: «مَن كفرَ بِحرفٍ مِنهُ فَقد كفرَ بِهِ كُلَّه»[١] والأشعرِيُّ يجحَدُهُ كُلَّه، ويَقُول: «لَيسَ شَيء مِنهُ قُرآنًا، وإنَّمَا هُو كَلَامُ جِبرِيلَ»

ولَا خلاف بَينَ المُسلمينَ كلَّهُم فِي أنَّهُم يَقُولُونَ: «قَالَ اللهُ كَذَا» إذا أرَادُوا أن يُخبِرُوا عَن آيَةٍ، أو يستشهِدُوا بِكَلِمَةٍ مِن القُرآنِ، ويُقِرُّونَ كلُّهم بِأن هَذَا قَولُ اللهِ، وعندَ الأشعَرِيِّ لَيسَ هَذَا قَولُ اللهِ وإنَّمَا هُو قَولُ جِبرِيلَ، فَكَانَ يَنبَغِي لَهُم أنهم يَقُولُونَ: «قَالَ جِبرِيلُ» أو: «قَالَ النَّبِي ﷺ» إِذا حَكَوا

[١] صحيح عن ابن مسعود، ولم أجده عن عليٍّ. رواه بنحوه عبد الرزاق (١٥٩٤٦) والطبري في التفسير (ط. دار التربية ج١ص٥٥) وهو صحيح عن إبراهيم النخعي، وقال إبراهيم عن ابن مسعود، وبينهما انقطاع، إلا أنَّ مراسيل النخعي عن ابن مسعود صحيحة، انظر: «شرح علل الترمذي» (ج١ص٥٤٢)

آية.

ثمَّ إنَّهم[١] قد أقرُّوا أن القُرآنَ كَلَامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ، فَإذا لم يكن القُرآنُ هَذَا الكتابَ العَرَبِيَّ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ قُرآنًا؛ فَمَا القُرآن عِندَهُمْ؟ وبِأيِّ شَيءٍ علِمُوا أنَّ غيرَ هَذَا يُسمَّى قُرآنًا؟ فَإن تَسمِيَة القُرآنِ إنَّمَا تُعلَمُ مِنَ الشَّرعِ أو النَّصِّ، وَأما العَقلُ فَلَا يَقتَضِي تَسمِيَةَ صِفَةِ اللهِ قُرآنًا، ومَا وردَ النَّص بتسميتهِ «القُرآن» إلَّا لهَذَا الكتابِ، ولَا عَرَفَتِ الأمةُ قُرآنًا غيرَه، وتسميتُهم غَيرَه قُرآنًا تَحَكُّمٌ بِغيرِ دَلِيلٍ شَرعِيٍّ ولَا عَقلِيٍّ تُخَالِفُ الكتابَ والسّنةَ وإجمَاعَ الأمة.

ومدارُ القَومِ على القَولِ بخلق القُرآنِ ووفاقِ المُعتَزلَةِ[٢] ولَكِنْ أحبُّوا أن لَا يُعلَمَ بِهِم؛ فارتَكَبُوا مُكَابَرَةَ العيانِ وجحْدَ الحَقَائِقِ ومُخَالفَةَ الإجمَاعِ ونبذَ الكِتابِ والسُّنةَ ورَاءَ ظُهُورِهِم، والقَولَ بِشَيءٍ لم يقُلهُ قبلَهُم مُسلِمٌ ولَا كَافِرٌ.

[التَّقيَّة عند الأشعريَّة]

(١) الأشاعرة.

(٢) قال الإيجي الأشعري: «فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة، فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك» [المواقف ص٢٩٤]

وَمِنَ العَجَبِ أَنَّهم لَا يتجَاسَرُونَ على إظهَارِ قَولِهِم ولَا التَّصرِيحِ بِهِ إلَّا فِي الخَلَوَاتِ[١] ولَو أنهم وُلَاة الأمر وأربابُ الدولة[٢]، وإذا حُكيت عَنهُم مقالَتَهُم الَّتِي يَعتقِدونَها؛ كَرِهُوا ذَلِكَ وأنكَروه وكابَرُوا عَلَيهِ، ولَا يَتَظاهَرُونَ إلَّا بتعظيمِ القُرآنِ وتبجيلِ المَصَاحِفِ والقِيَامِ لَهَا عِندَ رؤيتِها، وفِي الخلواتِ يَقُولُونَ «مَا فِيهَا إلَّا الورق والمِداد، وأيُّ شَيء فِيهَا؟!» وهَذَا فعلُ الزَّنَادِقَةِ.

ولَقَد حكيتُ عَن الَّذِي جَرَتْ المُنَاظَرَةُ بيني وبَينَهُ بعضَ مَا قَالَه، فَنُقِلَ إلَيهِ ذَلِكَ؛ فَغَضِبَ وَشَقَّ عَلَيهِ، وهُو من أكبر وُلَاةِ البَلَدِ. ومَا أفصَحَ لي بمقالتِه حَتَّى خَلَوتُ مَعَهُ، وقَالَ: «أُرِيدُ أن أقُولَ لَكَ أقصَى مَا فِي نَفسِي، وتقولَ لي أقصى مَا فِي نَفسِك» وصرَّحَ لي بمقالَتِهِم على مَا حَكَينَاهُ عَنهُم، ولمَّا ألزمتُه بعضَ الآيَاتِ الدَّالَّة على أن القُرآنَ هُو هَذِه السُّور؛ قَالَ: «وأنا أقُول: إن هَذَا

---

(١) قال الباجوري الأشعري: «لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم» [شرح جوهرة التوحيد ص٩٤]

(٢) فالأشاعرة كانوا هم المسيطرون على المناصب الدينية لقربهم مِن السلاطين، وترى السلاطين يوافقونهم، وهذا موجود إلى زماننا كما ترى في سوريا ومصر وأكثر البلاد الإسلامية، ومع ذلك فإنَّهم أجبَنُ مِن المُعتَزِلَةِ في إظهار مقالاتهم، إذ أنَّهم علموا أنَّ مذهب المعتزلة لمَّا كان صريحًا قويًّا مُصادِمًا لعلماء المسلمين وعامَّتِهم؛ انكسر، فعلِموا أن تغليف البدعة بالأقوالِ الموهِمةِ أروَجُ لها، ففعلوَا ذلك، ولهذا راجَ مذهبُهُم.

قُرآنٌ، ولَكِنْ لَيسَ هُو القُرآنُ القَدِيمُ.

قلت: ولنَا قرآنان؟

قَالَ: نَعَم، وأيُّ شَيءٍ يكونُ إذا كَانَ لنا قرآنان؟

ثمَّ غَضِب لما حكيتُ عَنهُ هَذَا القَولَ.

وقَالَ لَهُ بعضُ أصحَابِنَا: أنتُم وُلَاةُ الأمر وأربابُ الدولةِ؛ فَمَا الَّذِي يمنَعُكُم من إظهَارِ مَقَالَتِكُم لعامَّةِ النَّاسِ ودُعَاءِ النَّاسِ إلَى القَولِ بهَا بَينَهُم؛ فبُهِتَ ولم يُجِبْ إلَيَّ.

ولَا نَعرِفُ فِي أهلِ البِدَعِ طَائِفَةً يكتُمُونَ مَذاهبَهم ولَا يتجاسرونَ على إظهارِها إلا الزَّنَادِقَةَ والأشعريَّةَ، وقد أمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَه ﷺ بإظهَارِ الدّينِ والدُّعَاءِ إليه وتبليغِ مَا أُنزِلَ عَلَيهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة:٦٧]

فَإن كَانَت مقالتهم كَمَا يَزعمُونَ هِيَ الحقُّ فَهَلَّا أظهرُوها ودعَوا النَّاسَ إلَيهَا؟! وكَيفَ حَلَّ لَهُم كتمانُها وإخفاؤها والتظاهُرُ بِخِلَافِهَا وإيهامُ العَام اعتِقَادَ مَا سِواهَا؟ بل لَو كَانَت مقالتُهم هِيَ الحقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ

ﷺ وأصحَابه والأئِمَّةُ الَّذينَ بعدَهُم؛ كَيفَ لَمْ يُظهِرَهَا أحدٌ مِنهُم، وكَيفَ تواطَأوا على كِتمَانِهَا، أم كَيفَ حلَّ للنَّبِيِّ ﷺ كتمانُها عَن أمتِه وقد أُمِرَ بتبليغِ مَا أُنزِلَ إلَيهِ وتُوُعِّدَ على إخفاءِ شيءٍ مِنهُ بقولِه: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[المائدة:٦٧] أم كَيفَ وَسِعَهُ أن يُوهِم الخَلقَ خِلَافَ الحَقِّ؟ ثمَّ هُو ﷺ اشفَقُ على أمَّتِهِ مِن أنْ يُعَلِّمَهُ اللهُ حَقًّا ويَأمُرُه بتبليغِه إلَى أمتِه فيكتُمُه عَنهُم حَتَّى يضِلوا عَنهُ. ثمَّ إذا كتَمَهُ فَمَن الذي بَلَّغَه إلَى الصَّحَابَةِ حَتَّى اعتقدُوه ودانوا بِهِ، وكَيف يُصوَّرُ مِنهُم أن يدينوا بِهِ ويتواطَأوا على كِتمَانِه حَتَّى لَا يُنقَلُ عَن أحدٍ مِنهُم مَعَ كَثرتِهم وتَفَرُّقِهم فِي البلدَانِ، فَإن تُصُوِّرَ ذَلِك مِنهُم؛ فَمن الَّذِي نَقَلَه إلَى التَّابِعينَ حَتَّى اعتقدُوه فَكلُّ هَذَا مِنَ المُستحيلِ الَّذِي يقطَعُ كلُّ ذِي لُبٍّ بِفَسَادِه، ويَعلمُ يَقِينًا أن رَسُولَ اللهِ ﷺ واصحابَه وتابعيهم مَا كَانُوا يَعتقِدُونَ فِي القُرآن اعتقادًا سِوى اعتِقَادِ المُسلمين، وأنه هَذَا القُرآنُ العَرَبِيُّ الَّذِي هُو سورٌ وآياتٌ، وهَذَا أمر لَا يخفى على غيرِ مَن أضلَّهُ اللهُ.

وإن تصورَ فِي عُقُولِهِم أن الحق خَفِيَ = على رَسُولِ اللهِ ﷺ وعَلى أصحَابِه والتَّابِعِينَ بعدَهم، وعَلى الأئِمَّةِ الَّذين مهَّدوا الدّينَ واقتدَوا بِسَلَفِهِم، واقتَدوا بِهِم مَن بعدَهم = وغُطِّيَ عَنهُم الصَّوابُ ولم يتَبَيَّن لَهُمُ الصَّحِيحُ إلَى أن جَاءَ الأشعَرِيِّ فَبَيَّنَهُ وأوضحَ مَا خَفِيَ على النَّبِيِّ ﷺ وأمتِه وكشفَه؛ فَهَذِهِ عقولٌ

سخيفةٌ وآراءٌ ضَعِيفَةٌ؛ إذ يُتَصَورُ فِيهَا أنْ يضيعَ الحقُّ عَن النَّبِيِّ ﷺ ويجدُهُ الأشعَرِيُّ ويغفلُ عَنهُ كلُّ الأمَّةِ، وينتَبِهُ لَهُ دونَهُم، وإن سَاغَ لَهُم هَذَا؛ سَاغَ لسَائِرِ الكفَّارِ نِسبتُهم لنبيِّنا -عَلَيهِ السَّلَامُ- وأمَّتِه إلَى أنَّهم ضَاعُوا عَن الصَّواب وأُضِلُّوا عَن الطَّرِيقِ، ويَنبَغِي ان تكونَ شريعتُهم غيرَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ودينُهم غيرَ دينِ الإسلَامِ لِأنَّ دينَ الإسلَامِ هُو الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّد ﷺ، وهَذَا إنَّمَا جَاءَ بِهِ الأشعَرِيُّ، وإن رَضوُا هَذَا واعتَرَفُوا بِهِ؛ خَرجُوا عَن الإسلَامِ بِالكُلِّيَّةِ.

[بيان أن القرآن حروف]

[شبهة] فَإن قَالُوا فَكيف قُلتُم إن القُرآن حُرُوفٌ، ولم يَرِد فِي كتابٍ ولَا سنةٍ ولَا عَن أحدٍ من الأئِمَّة؟

[الجواب] قُلنَا: قد ثَبتَ أن القُرآنَ هُو هَذِه السُّورُ والآياتِ، ولَا خِلافَ بَينَ العُقَلَاءِ كلِّهم مسلمِهم وكافرِهم فِي أنَّهَا حُرُوفٌ، ولَا يختَلف عاقلانِ فِي أنَّ ﴿الحَمدُ﴾ خَمسَةُ أحرفٍ، واتفقَ المُسلمُونَ كلُّهم فِي أن سُورَةَ الفَاتِحَةِ سبعُ آياتٍ، واختلفُوا فِي أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هَل هِيَ آيَةٌ مِنهَا أم لَا، واتَّفَقُوا كلُّهم على أنَّهَا كَلِمَاتٍ وحروفٍ.

وقد افتَتَحَ اللهُ تَعَالَى كثيرًا من سُوَرِ القُرآنِ بالحروفِ المُقطَّعَةِ مثل:

﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ ولَا يجحَد عَاقلٌ كَونَهَا حروفًا إلَّا على سَبِيلِ المُكابَرَةِ، وهَذَا أمرٌ غيرُ خَافٍ على أحدٍ، فَلَا حَاجَةَ إلَى الدَّلِيلِ عَلَيهِ.

فَإن قَالُوا: لَا يسوغُ لكم أن تَقولُوا لَفظَةً لم ترد فِي كتاب ولَا سنةٍ وإن كَانَ مَعنَاهَا صَحِيحًا ثَابتًا.

قُلنَا: هَذَا خَطَأ، فَإِنَّهُ لَا خلافَ فِي أَنَّهُ يجوزُ أَنْ يُقَالَ: «إن القُرآنَ مائَةٌ وأربعُ عشرَةَ سُورَة، وإن سُورَةَ البَقَرَةِ مِائَتَانِ وستٌ وثَمَانُونَ آيَة» وفِي عدِّ آي سُوَرِ القُرآنِ وأحزابِه وأسبَاعِه وأعشارِه، ولم يّرِد لفظٌ فِي ذَلِك فِي كِتَابٍ ولَا سُنَّةٍ.

على أنَّ لفظَ الحَرفِ قد جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ وأقوالُ الصَّحَابَةِ وإجمَاعُ الأمةِ؛ فَقَالَ النَّبِي ﷺ «من قَرَأَ القُرآن وأعربه فَلهُ بِكُل حرف مِنهُ عشر حَسَنَات ومن قَرَأَهُ ولحن فِيهِ فَلهُ بِكُل حرف مِنهُ حَسَنَة»[١] وهَذَا حَدِيثٌ

---

[١] قال محققو المغني: «لم نجده في الترمذي بهذا اللفظ ولا قريب منه. وقد أورد السيوطي في الجامع الكبير حديثا يقاربه في المعنى باختلاف الألفاظ صفحة ٨١٧ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان»

وقال محقق لمعة الاعتقاد: «رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: " من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر

=

صَحِيحٌ.

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقرأوا القُرآن قبل أن يَأتِي قوم يُقِيمُونَ حُرُوفه إقَامَة السهم لَا يُجَاوز تراقيهم»[١]

وقَالَ عَلَيهِ السَّلَام: «أُنزل القُرآن على سَبعَة أحرف»[٢]

وقَالَ أَبُو بكرٍ وعمرَ رَضِي الله عَنهُمَا: «إعرَاب القُرآن(٣) أحب إلَينَا من حِفظِ بعضِ حُرُوفِه»[٤]

وقَالَ عَليٌّ رَضِي الله عَنهُ: «من كفر بِحرف من القُرآن فقد كفر بِهِ

درجات " وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك»

قلت: لكن قد يكون في نسخة ليست عندنا من سنن الترمذي، لأن ابن قدامة نسبه للترمذي في كتابين، وأكد على صحته هنا وفي المغني وفي اللمعة وفي الكافي.

[١] رواه ابن المبارك في الزهد (٨١٣) وغيره، وفيه موسى بن عبيدة ضعيف.

[٢] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨)

(٣) كلمَة «إعراب» معناها: قراءة الكلمة بلسان عربي فصيح.

[٤] رواه أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١٦) وابن المقرئ في «أخبار النحويين» (ص٤٢) وإسناده تالف فيه جابر الجعفي وشريك النخعي، ونُقل هذا القول عن الشافعي «مناقب الشافعي للبيهقي» (١/ ٢٨٢)

كُله»[١]

وقَالَ أيضًا: «تعلمُوا البَقَرَة، فَإن بِكُل حرفٍ مِنهَا حَسَنَةً، والحسنةُ بِعشرَةِ أمثَالِهَا»[٢]

وقَالَ عبد الله بن مَسعُود رَضِي الله عَنهُ: «من حلف بِالقُرآنِ فَعَلَيهِ بِكُل حرف كَفَّارَة»[٣]

وقَالَ ابن عُمَرُ: «إذا خرج أحدكُم لِحَاجَتِهِ ثمَّ رَجَعَ إلَى أهله فليأت المُصحفَ فيفتحه فيقرا سُورَةً، فَإن اللهَ يكتبُ لَهُ بِكُلِّ حرفٍ عشرَ حَسَنَاتٍ، أما إنِّي لَا أقُول ﴿الٓمٓ﴾ ولَكِن الألف عشرٌ، واللَّام عشرٌ، والمِيم

---

[١] سبق الكلام عنه قبل صفحات.

[٢] لم أجده عن عليٍّ رضي الله عنه، ولكن «تعلموا البقرة» جاء في حديثٍ مرفوع رواه أحمد «تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ...» وذِكر الحروف في أثر عن عبد الله بن مسعود « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ، فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ فِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ {الم} وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَامٌ وَمِيمٌ»رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٣٢) و(٢٩٩٣٤) والدارمي (٣٣٥١) وقال حسين سليم أسد: « إسناده صحيح وهو موقوف» وروى الترمذي نحوه مرفوعا (٢٩١٠) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»

[٣] **صحيح**، رواه عبد الرزاق (١٥٩٤٦)

عشرٌ»[١]

وقَالَ الحسن البَصرِيُّ: «قُرَّاءُ القُرآنِ ثَلَاثَةٌ؛ فقومٌ حَفِظوا حُرُوفَه وضَيَّعُوا حُدُودَه...»[٢]

وقَالَ حُذَيفَةُ وفَضالَة بن عبيد[٣]: «خُذ عَلَيَّ المُصحَفَ، ولَا تَرُدَّنَّ عَلَيَّ أَلِفًا ولَا واوًا»[٤]

وذَكَرَ أبُو عُبَيدٍ وغَيرُه من الأَئِمَّة فِي تصانِيفِهم «بَابُ اختلَافِهِم فِي حُرُوفِ القُرآنِ[٥]»

---

[١]**عن ابن عباس**، ولم أجده عن ابن عمر. رواه ابن المبارك (٨٠٧) ونقله البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠٣) وقال: «وهذا هو **الصحيح**»

[٢] رواه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (١٠٢) ولا يثبت اسناده

(٣) صحابي.

[٤] رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن » (ص٢١٣) وابن عساكر في «تاريخ دمشق » (ج٤٨ص٣٠٢) وإسناده ضعيف وفيه أبو مسكينة أو أبو مكينة ولم أعثر عليه.

(٥) يعني في اختلاف القراءات، فالقرآن الكريم له عشر قراءاتٍ، وكل ذلك أنزله الله، فقد أنزَلَ الله تعالى في الفاتحة ﴿مالك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿ملك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿صراط الذين﴾ وأنزل ﴿سراط الذين﴾ فكل قارئ اختار لنفسه ما يقرأ به مما أنزل الله، فهذا المراد باختلافهم في حروف القرآن.

واتفقَ أهل الأمصَارِ مِن أهلِ الحِجَازِ والعِرَاقِ والشَّامِ على عَدَدَ حُرُوفِ القُرآن فَعَدَّهَا كلُّ أهلِ مصرٍ وقَالُوا: «عَدَدُهَا كَذَا وكَذَا»(١)

وقَالَ المُسيبُ بن واضحٍ: «قلتُ ليوسفَ بنِ أسباطٍ: حَدَّثَنِي أبو عمرَ الصَّنعَانِيُّ حَفصُ بن مَيسرَة قَالَ: القُرآنُ أَلْفَا أَلِفِ حَرفٍ وأربعةٌ وعِشرُونَ ألفَ حرفٍ، فَمَن قَرَأَ القُرآنَ أُعطِيَ بِكُلِّ حرفٍ زَوجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، فَقَالَ لي يُوسُفُ بنُ أسبَاطٍ: ومَا يُعجِبك من ذَلِكَ؟ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أبانٍ العجلِيّ، عَن عبدِ الأعلى، عَنْ إبرَاهِيم التَّيمِيّ، عَن أبِيه، عَن عبد الله بن مَسعُود قَالَ: «من قَرَأَ القُرآن أعطي بِكُل حرف زَوجَتَينِ من الحور العين»[٢]

ولم تزل هَذِه الأخبَار وهَذِه اللَّفظَةُ متداولةٌ منقولةٌ بَين النَّاسِ لَا يُنكِرُها مُنكِرٌ، ولَا يَختَلِفُ فِيهَا أحدٌ إلَى أن جَاءَ الأشعَرِيُّ فأنكرها وخَالفَ الخلقَ كلَّهُم؛ مسلمَهم وكافِرَهم، ولَا تَأثِيرَ لقَولِه عِندَ أهلِ الحَقِّ، ولَا يَترُكُ[٣] الحَقَائِقَ وقَولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وإجمَاعَ الأمةِ لقَولِ الأشعَرِيِّ، إلَّا مَن قَد سَلَبَهُ

---

(١) وذلك الاختلاف سببه اختلاف قراءتهم كما سبق، وقد يكون الاختلاف بسبب طريقة العد، فمثلًا: كلمة «قالوا» الألف تكتب ولا تلفظ، فهل نعدُّها أم لا، وكذلك «لكن» نقرؤها بألف بعد اللام، ولا نكتب هذه الألف، فهل نعدُّها أم لا.

[٢] ضعيف، ورواه ابن منده في «الرد على من يقول الم حرف لابن منده» (ص٦١)

[٣] في المخطوطة (تترك) والسياق لا يقتضيها.

اللّٰهُ التَّوفِيقَ وأعمى بصيرَتَه وأضَلَّهُ عَن سَواءِ السَّبِيلِ.

[شبهة اثبات الصوت للّٰهِ]

وقَالُوا أيضًا: قد قُلتُم: «إن اللهَ يتَكَلَّم بِصَوتٍ» ولم يَأتِ كتابٌ ولَا سُنَّةٌ.

[الجواب] قُلنَا: بل قَد وَرَدَ بِهِ الكتابُ والسنةُ وإجمَاعُ أهلِ الحَقِّ.

أما الكتابُ فَقولُ الله تعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾[النساء:١٦٤]

وقَوله تَعَالَى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة:٢٥٣]

وقَوله سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ الآيَة [الشورى ٥١]

وقَوله تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾[الشعراء:١٠]

ولَا خلافَ بَينَنَا أنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ بِغَيرِ واسِطَةٍ[١]، ولَا

(١) لا خلاف بيننا وبين الأشعرية في هذا، لأنهم يقولون إن موسى سمع الكلام النفسي، وهم ينكرون صوت الله تعالى مع ذلك، أما المعتزلة والماتريدية فلا يوافقون هذا ويرون قول الأشعرية متناقض، ويثبتون الواسطة.

يُسمَعُ إلَّا الصَّوتُ، فَإن الصَّوتَ هُو مَا يَتَأتَّى سَمَاعُه.

وقد صَحَّ عَن النَّبِي ﷺ أنَّه قَالَ «إن الله يجمع الخَلَائق فيناديهم بِصَوت يسمعهُ مَن بَعُد كَمَا يَسمع مَن قَرُبَ {أنا الملك أنا الديَّان}»[١].

وذكر عبد الله بن أحمد انه قَالَ: سَالَتُ أبي فَقلتُ: يَا أبه، إن الجَهمِيَّةَ يَزعمُونَ أن اللهَ لَا يتَكَلَّمُ بِصَوتٍ، فَقَالَ: «كذبُوا إنَّمَا يُرِيدُونَ على التعطيل» ثمَّ قَالَ: حَدَّثنَا عبدُ الرَّحمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ المُحَارِبِيِّ قَالَ: حَدثنَا سُلَيمَانُ بنُ مِهرَانَ الأعمَشُ، عَن أبي الضُّحَى، عَن مَسرُوقٍ، عَن عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِي اللهُ عَنهُ أنه قَالَ: «إذا تكلم الله بِالوحي سمع صَوتَه أهل السَّمَاء»

قَالَ أبُو نصر السجزِي -رَحمَه الله- وهَذَا الخَبَرَ لَيسَ فِي رُواتِه إلَّا إمَامٌ مَقبُولٌ، وقد رُوِيَ مَرفُوعًا إلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وفِي بعض الآثارِ أنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ لَمَّا ناداهُ ربُّه: ﴿يَا مُوسَى﴾ أجابَ سَرِيعًا استئناسًا بالصوتِ، فَقَالَ: «لبيك، أسمَعُ صَوتَكَ ولَا أرى مَكَانَكَ، فَأينَ أنتَ»؟ قَالَ: {أنا فَوقَكَ وامامُكَ ووراءُكَ وعَن يَمِينِكَ وعَن شِمالِكَ} فَعَلِمَ أنَّ هَذِه الصّفةُ لَا تنبغي إلَّا للهِ عزَّ وجلَّ، قَالَ: «فَكَذَلِكَ أنت

---

[١] صحيح، انظر تخريجه والرد على اعتراضات من ضعفه في تعليقي على «فضل علم السلف» (ص٤٣)

يَا ربِّ، أفكلامَكَ أسمَعُ أم كَلَامَ رَسُولِكَ»؟ قَالَ: {بل كَلَامي} [١]

وفِي أثَرٍ آخرٍ أنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَام لمَّا ناجاهُ ربُّه ثُمَّ سمِعَ كَلَامَ الآدَمِيّينَ؛ مقتَهم لِمَا وقرَ فِي مسامعه من كَلَامِ اللهِ تَعَالَى.

ومثلُه فِي الآثَارِ كثيرٌ تناولَتهُ الأمة ولم يُنكِرهُ إلَّا مُبتَدعٌ لَا يُلتَفَتُ إلَيهِ.

[شبهة أن الصوت يحتاج إلى أدوات]

فَإن قَالُوا: فالصوتُ لَا يكونُ إلَّا مِن هَواءٍ بَينَ جِرمَينِ(٢)

[الجواب] قُلنَا هَذَا من الهذيان الَّذِي أجبنا عَن مِثلهِ فِي الحَرفِ وقُلنَا: إنَّ هَذَا قِيَاسٌ مِنهُم لرَبِّنَا تبارَكَ وتَعَالَى علي خَلقِه، وتشبيهٌ لَهُ بعبادِه، وحكمٌ عَلَيهِ بِأنَّهُ لَا تكونُ صفتُهُ إلَّا كصفاتِ مَخلوقاتِه، وهَذَا ضلالٌ بعيدٌ.

ثمَّ إنَّه يلزمهُم مثلُ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ على مَا أسلفناهُ، على أنَّ معتمدَنا فِي صِفَاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ إنَّمَا هُو الاتِّبَاعُ، نَصِفُ اللهَ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ ووصفَه بِهِ رَسُولُه ولَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ ولَا نتجاوَزُهُ ولَا نتأوَّلُه

---

[١] «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٦١/ ٥٠)

(٢) الجِرْمُ: هو المادَّة، والجُرمُ: هو الفعل الخبيث.

ولَا نفسِّره، ونعلَمُ أنَّ مَا قَالَ اللهُ ورَسُولهُ حقٌّ وصدقٌ، ولَا نشكُّ فِيهِ ولَا نرتابُ، ونعلَمُ أنَّ لِمَا قَالَ اللهُ ورَسُولُه معنًى هُو بِهِ عَالمٌ؛ فنؤمنُ بِهِ بِالمَعنَى الَّذِي أرادَه، ونَكِلُ علمَه إلَيهِ[١]، ونقولُ كَمَا قَالَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ وأئمتُنَا المُقتَدى بهم: «آمنا بِاللَّهِ ومَا جَاءَ عَنِ اللهِ علَى مُرَادِ اللهِ، وآمنا بِرَسُولِ اللهِ ومَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ علَى مُرَادِ رَسُولِ اللهِ»[٢] نقُول مَا قَالَ اللهُ ورَسُولُه ونسكُتُ عَمَّا ورَاء ذَلِكَ، نتَّبِعُ ولَا نبتَدِعُ، بذلك أوصانا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابه، وأوصانا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وأوصانا بِهِ سلفُنَا رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

فَقَالَ الله تَعَالَى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام:١٥٣]

---

(١) هذا كلام غير سليم، فظاهره أن قائله لا يفهم المعني وإنما يكله إلى الله، والصواب أن أهل السنّة يثبتون المعنى ويفهمونه كما يفهمون سائر الكلام العربي. والعجب من الشيخ كيف أنه اشتدَّ بالحقِّ في مسألة الحرف والصوت، وكان فيها صلبًا يصول ويجول على الجهميَّة الأشاعرة، ثم هنا يتوقَّف فيما لا فرق بين إثباته على حقيقته وإثبات الكلام على حقيقته. وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في الكتابين السابقين، وسيأتي لاحقًا فلن أحشر الأقوال هنا.

[٢] لم أجد أحدًا قاله من الأئمة، إلا أنه نُسِبَ للشافعي رحمه الله، ولم أجد مَن نسبه للشافعي قبل يحي بن إبراهيم السلماسي «منازل الأئمة الأربعة» (ص١٤٦) وهو متوفى عام (٥٥٠هـ) ولم أجد له إسناد إلي الشافعي رحمه الله ولا نسبه إليه المتقدمون، ولا من نقل عقيدته كالهروي، ولا من ترجم له كابن أبي حاتم والبيهقي.

وقَالَ تَعَالَى ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[الزمر:٥٥]

وقَالَ لرَسُوله عَلَيهِ السَّلَام ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]

وقَالَ النَّبِي ﷺ: «عَلَيكُم بِسنتي وسنة الخُلَفَاء الرَّاشِدين المَهديين من بعدِي، عضوا عَلَيهَا بالنواجذ وإيَّاكُم ومحدثات الأُمُور فَإِن كل محدثة بِدعَة وكل بِدعَة ضَلَالَة»[١]

وقَالَ عبد الله بن مَسعُود: «اتبعُوا ولَا تبتدعوا فقد كُفيتم»[٢]

وقَالَ عمر بن عبد العَزِيز -رَضِي الله عَنهُ- كَلَاما مَعنَاهُ: «قِفْ حَيثُ وَقَفَ القَومُ فَإِنَّهُم عَنْ عِلمٍ وَقَفُوا وبِبَصَرٍ نافذٍ كَفُّوا، ولَهُم كَانُوا على كشفها أقوى، وبالفضلِ لَو كَانَ فِيهَا أحرَى وإِنَّهُم لَهُمُ السَّابِقُونَ، فلئن كَانَ الهدى مَا أنتم عَلَيهِ؛ لقد سبقتموهم إلَيهِ، ولَئِن قُلتُم: «حَدَثَ حدثٌ بعدَهم» فَمَا أحدثَه إلَّا من اتَّبَعَ غيرَ سبيلَهم ورغِب بِنَفسِهِ عَنهُم، ولَقَد وصَفوا مِنهُ مَا يَكفِي، وتَكَلَّمُوا مِنهُ بِمَا يَشفي، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، وَلَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، لَقَدْ

[١]

[٢] رواه الدارمي في سننه (٢١١) واسناده قابل للتحسين.

قَصَّرَ دُونَهُمْ أُنَاسٌ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ آخَرُونَ عَنْهُمْ فَغَلَوْا، وإِنَّهُم مِن ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ»[١]

وقَالَ الأوزَاعِيّ رحمه الله: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النّاسُ، وَإِيّاكَ وَآرَاءِ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ»[٢]

ولم يزلِ السّلفُ الصَّالحُ منَ الصَّحابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم- والأئِمَّةُ بعدَهم يُعظمونَ هَذَا القُرآنَ ويعتقدونَ أنه كَلَامُ اللهِ ويتقربونَ إلَى اللهِ بقرَاءَتِهِ ويَقُولُونَ: «إنَّه غير مَخلُوق، ومن قَالَ إنَّه مَخلُوق فَهُو كَافِرٌ»(٣) ولما وقعتِ الفِتنَةُ وظَهَرتِ المُعتَزلَةُ ودَعَوا إلَى القَولِ بِخلقِ القُرآنِ؛ ثَبَّتَ أهلُ الحقِّ الخَلقَ حَتَّى قُتِلَ بَعضُهُم، وحُبِسَ بَعضُهم، وضُرِبَ بَعضُهُم، فَمِنهُم مَن ضَعُفَ فَأجَابَ تقيَّةً(٤) وخوفًا على نَفسه، ومِنهُم مَن قَوِيَ إيمَانُه وبذَلَ نَفسَه

---

[١] رواه أبو داود (٤٦١٢) بنحوه. وقال الألباني: «صحيح»

[٢] رواه الآجري في الشريعة (١٢٧)

(٣) وردت عن السلف ألفاظ كثيرة بهذا المعنى، نقلها حرب الكرماني، وعبد الله بن أحمد، واللالكائي وغيرهم.

(٤) التقيّة هي إظهار خلاف الحقِّ عند الضرورة، ليتَّقي بذلك ما قد يصيبه مِن قتلٍ أو ما شابه.

=

للهِ واحتسَبَ مَا يُصِيبهُ فِي جنبِ اللهِ، ولم يزِلَّ عن السُّنةِ إِلَى أن كَشَفَ اللهُ تَعَالَى تِلكَ الفِتنَةَ وأزال تِلكَ المِحنة وقمع أهلَ البِدعَةِ.

واتفَقَ أهلً السّنة على أنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ، ولَم يكُنِ القُرآنُ الذي دعَوا إلَى القَول بِخَلقِهِ سِوى هَذِهِ السُّوَرِ الَّتِي سَمَّاهَا اللهُ قُرآنًا عَرَبيًّا، وأنزلها على رَسُولهِ عَلَيهِ السَّلَامُ ولَم يَقَعِ الخلافُ فِي غَيرِهَا البَتَّةَ، وعند الأشعَرِيّ أنَّهَا مخلوقَةٌ، فَقَولُه قَولُ المُعتَزلَةِ لَا مَحَالةَ، إلَّا أنه يُرِيدُ التلبيسَ فَيَقُولُ فِي الظَّاهِرِ قولًا يُوافِقُ أهلَ الحَقِّ ثمَّ يُفسرُه بقولِ المُعتَزِلَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أنه يَقُولُ: «القُرآنُ مقروءٌ متلوٌ مَحفُوظٌ مَكتُوبٌ مسموعٌ» ثمَّ يَقُولُ: «القُرآنُ فِي نفسِ البَارِي قَائِمٌ بِهِ، لَيسَ هُو سورًا ولَا آيَاتٍ، ولَا حروفًا ولَا

وقوله «فَأجَابَ» يعني وافقهم، أي ذلك الذي سُجِنَ وعُذِّبَ وافقهم بالقول لينجوا مِن شرِّهم.

والتقيَّة أصلها في الكتاب العزيز، قال الله تعالى ﴿يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ومِن أعجَب كلام السَّلَف إليَّ فيها: ما رواه ابن أبي شيبة (٣٣٠٤٩) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «إِنِّي أَشْتَرِي دِينِي بَعْضَهُ بِبَعْضٍ مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ» وجاء عن أبي جعفر مُحَمَّد بْن علي: «التَّقِيَّةُ لَا تَحِلُّ إِلَّا كَمَا تَحِلُّ الْمَيْتَةُ لِلْمُضْطَرِّ» فليست التقيَّة كما يفعلها الرافضة والأشعرية في إخفاء عقائدهم، وإنها لا تبيح أن يفعل صاحبها القتل وشرب الخمر. كذلك فإنَّها لا تبيح مداهنة الكفار لتحصيل المصالح الدنيويَّة، ولا تبيح دعوة الناس إلى باطل، ولهذا، عندما علم أحمدُ ابن حنبل أن الناس يتابعونه؛ لم يأخذ بالتقيَّة، لأنَّه لو أجاب لتابعوه على ذلك القول.

كَلِمَاتٍ» فَكيف يتَصَورُ إذًا قِرَاءَتَه وسماعَه وكتابتَه.

ويَقُولُونَ: «إن مُوسَى سمع كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ» ثمَّ يَقُولُونَ: «لَيسَ بِصَوتٍ»

ويَقُولُونَ: «إن القُرآن مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ» ثمَّ يَقُولُونَ: «لَيسَ فِيهَا إلَّا الحبرُ والورقُ» فَإنْ كَانَتْ كَمَا زَعَمُوا؛ فَلِمَ لَا يَمَسَّهَا الا المُطَهَّرُونَ، ومَا رَأينَا المُحدثَ يُمنَعُ من مسِّ حِبرٍ ولَا وَرَقٍ.

ولِمَ تجبُ الكَفَّارَةُ على الحَالِفِ بالمُصحَفِ إذا حَنثَ؟

ومَن قَالَ إنَّه لَيسَ فِي المُصحفِ إلَّا الحِبرُ والورقُ لَزِمَهُ التَّسوِيَةُ بَين المُصحفِ وبَين دِيوانِ ابن الحَجَّاجِ[1] لِأنَّهُ إذا لمْ يكُنْ بَينَ كلِّ واحِدٍ مِنهُمَا غَيرَ الحِبرِ والوَرَقِ؛ فقد تَسَاويا، فَيجبُ تساويهِمَا فِي الحُكمِ، هَذَا مَعَ ردِّهِمْ على اللهِ تَعَالَى وعَلى رَسُولِهِ وخرقِهِم لإجمَاعِ الأمةِ فَإنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾[الواقعة:٧٥-٨٠] فأقسم اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهُ قُرآنٌ كريمٌ فِي كتابٍ

---

(١) هو الحسين بن أحمد ت٣٩١هـ شيعي له ديوان شعري سيِّء فاحش.

مَكنُونٍ فَرَدُّوا عَلَيهِ وقَالُوا: «مَا فِي الكتابِ إلَّا الحبرُ والورقُ» وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج:٢١-٢٢] وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور:١-٣] وقَالَ ﷺ: «لَا تسافروا بِالقُرآنِ إلَى أرض العَدو مَخَافَةَ أن تناله أيديهم»[١] يُرِيد المَصَاحِفَ الَّتِي فِيهَا القُرآنُ.

واتفقَ المُسلمُونَ كلُّهُم على تَعظِيمِ المُصحَفِ وتبجيلِهِ وتَحرِيم مَسّهِ على المُحدِثِ، وأنَّ مَنْ حلفَ بِهِ فَحنثَ فَعَلَيهِ الكَفَّارَةُ، ولَا تجبُ الكَفَّارَةُ بِالحلفِ بمَخلوقٍ، وذكَرَ بعضُ المبتدعَةِ أنَّهُ إنَّمَا وجَبتِ الكَفَّارَةُ على الحَالِفِ لاعتقادِ العَامَّةِ أنَّ فِيهِ كَلَامَ اللهِ، وهَذِهِ غَفلَةٌ مِنهُ، فَإنَّ هَذَا الحكمَ منْ لدُنِ النَّبِيِّ ﷺ لم يَتَجَدَّدِ الآنَ.

فَإنْ أقرَّ أنَّ عَامَّةَ أهلِ عصرِ النَّبِيِّ ﷺ وصحابتَه كَانُوا يَعتَقِدُونَ أن فِيهِ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وأقرَّهم عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وصوَّبهم فِيهِ؛ فَهُو الحقُّ الَّذِي لَا شكَّ فِيهِ ولَا يَحِلُّ خِلَافُه.

وإن قَالَ إنَّهُم كَانُوا يَعتَقِدُونَ ذَلِكَ ولَم يعلَمْ بهم النَّبِيُّ ﷺ، فَكيفَ علِمَ هُو؟!

---

[١] رواه مسلم (١٨٦٩)

وكَيفَ علِمَ هُو مِن أحوالِ أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومِنَ اعتقاداتِهم مَا يخفى على رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه- وهُو بَين أظهُرِهِم وعنهُ يَأخُذُونَ وإلَيهِ يرجِعُونَ وبِه يقتدونَ وعنهُ يصدرون؟!

ثمَّ هَل كَانُوا مُصيبينَ فِي اعتِقَادِهِم أو مُخطئِينَ؟ فَإن كَانُوا مُخطئِينَ؛ فقدِ اعتقدَ أنَّ أصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا ضُلَّالًا ومَن بعدَهم، وأنه هُو أصَابَ بمخالفتِهم.

وكَيفَ يجوزُ أن يكونَ أصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ اتَّفقُوا على اعتِقَادِ الخَطَأ والضَّلالِ والبَاطِلِ وأخطأوا الحقَّ وتبِعَهمْ مَن بعدَهم على ذَلِكَ إلَى أنْ جَاءَ هَذَا الجَاهِلُ بِزَعمِهِ فَعَرفَ الصَّوابَ وعرف خطأ مَن كَانَ قبلَهُ؟!

ثمَّ هَذَا إقرَارٌ بِأنَّ مقَالَتَهُ بِدعَةٌ حَادِثَةٌ خَالفَ بهَا أصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ والتَّابِعِينَ بعدَهم. وهُو الَّذِي يَقُولُه عَنهُم ويدَّعيهِ[١] فيهِم.

وإن زعم أنَّ أهلَ عصرِ النَّبِيِّ ﷺ لم يَكُونُوا يَعتَقِدُونَ هَذَا وإنَّمَا حدثَ بعدَهُم؛ فَلِمَ يثبُتُ هَذَا الحُكمُ فِي عصرِهم؟ ولِمَ وجَبت الكَفَّارَةُ على

[١] في المخطوط «بقوله عنهم وبدعته» وليست تفهم في هذا السياق والله أعلم.

ولعل قصده بـ«هو» أي القول بأنَّهم ضلُّوا.

الحَالِفِ بالورَقِ والحِبرِ، ولَا خلاف بَين المُسلمينَ أنَّه لَا تَجِبُ كَفَّارَةٌ بِالحلفِ بوَرَقٍ ولَا حِبرٍ ولَا مَخلُوقٍ؟

ثمَّ مَتى حَدَث هَذَا الاعتِقَادُ وفِي أيِّ عصرٍ؟ ومَا عَلِمنَا الحَادِث إلَّا قَولَهُم الخَبيثَ المُخَالفَ للأمَّةِ وللكتابِ والسُّنةِ.

ثمَّ كَيفَ يحلُّ أنْ يُوهموا العَامَّةَ مَا يَقوى بِهِ اعتِقَادُهم الَّذِي يَزعمُونَ أنَّه بِدعَةٌ، من تعظيمِهمْ للمصاحفِ فِي الظَّاهِرِ واحترامِهَا عِند النَّاسِ، ورُبمَا قَامُوا عِندَ مجيئِها وقبَّلوها ووضعوها على رؤوسِهِم ليُوهموا النَّاسَ أنَّهُم يَعتَقِدُونَ فِيهَا القُرآنَ، ورُبمَا أمَروا من تَوجَّبَتْ عَلَيهِ يَمِينٌ فِي الحُكمِ بِالحلفِ بالمُصحَفِ إيهامًا لَهُ أن الَّذِي يحلِفُ بِهِ هُو القُرآنُ العَظِيمُ والكتابُ الكَرِيمُ، وهَذَا عِندهم اعتِقَادٌ بَاطِلٌ، فَكيفَ يحلُّ لَهُم أن يتظاهروا بِهِ، ويُضمِرونَ خِلَافَه، وهَذَا هو النِّفَاقُ فِي عهد رَسُول الله ﷺ، وهُو الزندقةُ اليَومَ، وهُو أنْ يُظهِرَ مُوافَقَةَ المُسلمينَ فِي اعتِقَادِهِم ويُضمرَ خلافَ ذَلِكَ، وهَذَا حَالُ هَؤُلَاءِ القَومِ لَا محَالة، فهم زَنَادِقَةٌ بِغَيرِ شكٍّ، فَإنَّهُ لَا شكَّ فِي أنَّهُم يُظهرون تَعظِيمَ المَصَاحِفِ إيهامًا أنَّ فِيهَا القُرآنَ، ويعتقدونَ فِي البَاطِنِ أنَّهُ لَيسَ فِيهَا إلَّا الورقُ والمِدادُ[1]، ويظهرونَ تَعظِيمَ القُرآنِ، ويجتمعونَ لقرَاءَتِه

(١) المِداد: هو الحِبر.

فِي المحافلِ والأعزِيَةِ، ويعتقدون أَنَّهُ مِن تأليفِ جِبرِيلَ وعبارَتِه، ويُظهِرونَ أن مُوسَى سمِعَ كَلَامَ اللهِ مِن اللهِ، ثمَّ يَقُولُونَ لَيسَ بِصَوتٍ، ويَقُولُونَ فِي أذانِهم وصلواتِهم: «أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» ويعتقدون أنه انقَطَعَتْ رِسَالَتُهُ ونُبُوَّتُه بِموتِهِ، وأنه لم يبق رَسُولَ اللهِ، وإنَّمَا كَانَ رَسُولَ اللهِ فِي حَيَاتِهِ[1]، وحَقِيقَةُ مَذهَبهم أنه لَيسَ فِي السَّمَاء إلَه، ولَا فِي الأرض قُرآن، ولَا أن مُحَمَّدًا رَسُول الله، ولَيسَ فِي أهل البدع كلّهم من يتظاهرُ بِخِلَافِ مَا يَعتَقِدهُ غَيرُهم وغيرُ من أشبهَهُم من الزَّنَادِقَةِ.

[مؤسس الطائفة الأشعريَّة]

ومن العجب أن إمَامَهم[2] الَّذِي أنشأ هَذِه البِدعَةَ رجلٌ لم يُعرَفْ بدينٍ

---

(١) المقصود أنهم يرون محمدًا ﷺ كان رسولًا لله تعالى في حياته، وأما بعد مماته فليسَ رسولًا، وهذا نسبه ابن حزمٍ للأشاعرة، فقال: «حَدِيث فرقة مبتدعة تزْعم أَن مُحَمّد بن عبد الله بن عبد الْمطلب ﷺ لَيْسَ هُوَ الْآن رَسُول الله ﷺ، وَهَذَا قَول ذهب إِلَيْهِ الأشعرية، وَأَخْبرنِي سُلَيْمَان بن خلف الْبَاجِيّ -وَهُوَ من مقدميهم الْيَوْم- أَن مُحَمّد بن الْحسن بن فورك الْأَصْبَهَانِيّ على هَذِه الْمَسْأَلَة قَتله بالسم مَحْمُود بن سبكتكين» [الفِصَل ج١ص٧٥] وهنا ابن قدامة ينسبه لهم، ولكنني لم أجد في كتب القومِ هذا الكلام، والله أعلم، ونقل عن ابن الصَّلاح: «ال ابن الصّلاح: ليس كما زعم بل هو تشنيع عليهم» [أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ص٦٨]

(٢) يعني: أبو الحسن الأشعري ت٣٢٤هـوعاش معتزليًا أربعين سنةً من عمره ثم خالَفَ شيخه فانقلب

=

ولَا وَرَعٍ ولَا شَيءٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ البَتَّةَ، ولَا يُنسبُ إلَيهِ مِن العِلمِ إلَّا علمَ الكَلَامِ المَذمومِ، وهُم يعترفونَ بِأنَّهُ أقَامَ على الاعتزالِ أربَعِينَ عَامًا ثمَّ أظهَرَ الرُّجُوعَ عَنهُ، فَلم يظهر مِنهُ بعدَ التَّوبَةِ سوى هَذِه البِدعَةَ، **فَكيفَ تَصورَ فِي عُقُولِهِم أنَّ اللهَ لَا يوفِّقُ لمعرِفَة الحقِّ إلَّا عدوَّه، ولَا يَجعَلُ الهدى إلَّا مَعَ مَن لَيسَ لَهُ فِي عِلمِ الاسلامِ نصيبٌ ولَا فِي الدّينِ حَظٌّ.**

[خطر هذه البدعة]

ثمَّ إن هَذِه البِدعَةَ مَعَ ظُهُورِ فَسَادِهَا وزِيَادَةِ قبحِها قد انتشرتْ انتشارًا كثيرًا وظَهَرت ظهورًا عَظِيمًا، وأظنها آخرَ البدعِ وأخبَثَها، وعَلَيهَا تقومُ السَّاعَةُ وأنَّهَا لَا تزدادُ إلَّا كَثرَةً وانتشارًا، فَإن نَبينَا ﷺ أخبَرَنَا أنَّ فِي آخر الزَّمَان تكثُرُ البدعُ وتَمُوت السّنَنُ ويَغرُبُ الدّينُ[1]، وأن الدُّنيَا لَا تزدادُ إلَّا

على المعتزلة، فحتَّى انقلابه عليهم لم يكُن عن دِراسة، بل عن لكون بدعة «وجوب فعل الأصلح على الله تعالى» لم توافق عقله. ولكنَّه بعد انقلابه عليهم بدأ حاله يعتدل شيئًا فشيئًا حتى مات بعد أربع وعشرين سنة من تلك الحادثة وحاله قريبة من حال أهل السنَّة، لكنَّ أتباعه يتبعونه على بدعه ولا يتبعونه على ما استقر عليه حاله أخيرًا وعلى مقالاته التي في آخر كتاب ألفه وهو «الإبانة».

(١) روى مسلم (١٤٥) عن رسول الله ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»

إدبارًا وأنَّهُ يصيرُ المَعرُوفُ مُنكرًا والمُنكَرُ مَعرُوفًا[١]، وأنه يقِلُّ أهلُ الحقِّ، إلَّا أنهم مَعَ قلتهِم لَا يضرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّى يَأتِي أمرُ اللهِ[٢]، وأنه يعظُمُ ثوابُهم، ويكثُرُ أجرُهُم[٣]. وشبه النَّبِيُ ﷺ الدّينَ فِي آخِرهِ بِأولِ ابتِدَائِه فِي غُربتهِ وقلةِ أهلِه، فَقَالَ -عَلَيهِ السَّلَام-: «بَدَأ الدّين غَرِيبا وسَيَعُودُ كَمَا بَدَأ» ثمَّ جمع بَينهم فِي أن لَهُم طُوبَى، فَقَالَ: «فطوبَى للغرباءِ» [٤] ثمَّ فضَّل المُتَأخِّرين فِي بعضِ الأخبَارِ فَقَالَ فِي حَدِيثٍ: «يَأتِي على النَّاس زمَان يكون للقائمين بِالكتاب والسّنة مثل اجرِ خمسين شَهِيدا» قَالُوا: «يَا رَسُول الله منا أو مِنهُم»

(١) جاء عن رسول الله ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟» رواه نعيم في الفتن (١١١) والطبراني في الأوسط (٩٣٢٥) وروى ابن وضاح في البدع (٢٣٥) عن ابن مسعود: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ السُّنَّةُ فِيهِ بِدْعَةً، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا؛ وَذَلِكَ إِذَا اتَّبَعُوا وَاقْتَدَوْا بِالْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فِي دُنْيَاهُمْ» وأسانيدها غير صحيحة، إلا أن المعنى يوافق أحاديثًا أخرى صحيحة.

(٢) قال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠)

(٣) قال ﷺ: «فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ» رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وقال الحاكم (٧٩١٢): «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وقال الذهبي: «صحيح»

[٤] رواه مسلم (١٤٥)

قَالَ «مِنكُم» [١]

وهَذَا فضلٌ عَظِيمٌ، وذَلِكَ والله أعلم لعظم نفعهم وصعوبة الأمر عَلَيهِم وكَثرَة أعدائهم وتألبِّهم عَلَيهِم وقلة أنصارهم.

وقد جَاءَ فِي خبرٍ: «يَأتِي على النَّاس زمَان يكون المتمسكُ بِدِينِهِ كالقابضِ على الجمر»[٢] فَهَذِهِ الصعوبة هِيَ المُوجبَة لذَلِك الأجر. ثبتنا الله على الإسلَامِ والسّنةِ، وأحيَانا عَلَيهِما، وأماتنا عَلَيهِما، وحشرنا عَلَيهِمَا.

[كثرة أهل البدع]

ومن العجبِ أن أهلَ البدعِ يستدلونَ على كَونِهم أهلَ الحقِّ بكَثرتِهم وكَثرَة أموالِهِم وجاهِهِم، وظُهورِهم، ويستدِلُّونَ على بُطلَان السُّنةِ بقِلَّةِ أهلِهَا وغربتِهم وضعفِهم، فيَجعَلونَ مَا جعلهُ النَّبِيُّ ﷺ دَلِيلَ الحقِّ وعلامةَ السُّنةِ؛ دَلِيلَ البَاطِلِ، فَإن النَّبِيَّ ﷺ أخبرنَا بِقِلَّةِ أهلِ الحقِّ فِي آخرِ الزَّمَانِ وغربتِهم،

---

[١] رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤) وفيه رجل لم أعرفه، وحديث «أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ» الذي خرَّجته سابقًا أثبت منه، وأسلم من حيث المعنى.

[٢] رواه الترمذي (٢٢٦٠) وقال الألباني: «صحيح»

وظُهُورِ أهلِ البِدَعِ وكثرتِهم، ولَكنهُم سلكوا سَبِيلِ الأُمَمِ فِي استدلالِهِم على أنبِيَائِهِم وأصحَابِ أنبِيَائهم[١] بِكَثرَةِ أموالِهِم وأولَادِهم، وضعفِ أهل الحق فَقَالَ قوم نوح لَهُ: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[هود:٢٧]

وقَالَ قوم صَالح فِيمَا أخبر الله عَنهُم بقوله ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف:٧٥-٧٦]

وقَالَ قوم نَبينَا ﷺ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[سبأ:٣٥]

وقَالَ الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾[الأنعام:٥٣]

---

(١) يعني يستدلون على أنبيائهم بأنهم خير من هؤلاء الأنبياء، بأنَّ لهم مال وجاه وأتباع -وخسئوا-

وقالَ الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[الأحقاف:١١] ونسوا قول الله تَعَالَى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾[الرعد:٢٦]

وقوله سُبحَانَهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨]

وقوله سُبحَانَهُ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾[الكهف:٣٢] الآيَات كلهَا.

وقوله ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[الحجر:٨٨]

وقالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزخرف:٣٣]

إلَى قوله ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف:٣٥]

وقد كَانَ قَيصر ملكَ الرّوم وهُو كَافِرٌ أهدى مِنهُم، فَإِنَّهُ حِين بلغه كتابُ النَّبِي ﷺ؛ سَألَ عَنهُ أبا سُفيَان، فَقَالَ: «يتبعهُ ضعفاء النَّاسِ أو أقوياؤهم» فَقَالَ: «بل ضُعَفَاؤُهُم» فَكَانَ هَذَا مِمَّا استدلَّ بِهِ على أنه رَسُولُ اللّٰه ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُم أتبَاع الرُّسُل فِي كل عصر وزمان»[١]

وفِي الآثَارِ أنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ لمَّا كَلمهُ ربه تَعَالَى قَالَ لَهُ: {يَا مُوسَى لَا يغرنكما زِينَةُ فِرعَونَ ولَا مَا مُتِّعَ بِهِ، فإنني لَو شِئتُ أن أُزيِّنَكُما بزينةٍ يَعلمُ فِرعَونَ أن مقدِرَتَه تعجَزُ عَن أقل مَا أوتيتما؛ لفَعَلت، ولكنني أضنُّ بكُما عَن ذَلِكَ، وأزوِيَه عنكُما، وكَذَلِكَ أفعلُ بأوليائي، وقديمًا مَا خِرتُ لَهُم إنِّي لأذودُهم عَن الدُّنيَا كَمَا يذودُ الرَّاعِي الشفيقُ إبِلَهُ عَن مَبَارِكِ الغُرَّةِ، وإنِّي لأُجَنِّبَهُم سَلوَتَهَا ونَعِيمَهَا كَمَا يُجَنِّبُ الرَّاعِي الشفيقُ غنمَه عَن مَرَاتِعِ الهَلَكَةِ، ومَا ذَلِك لهوانِهِم عَليَّ، ولَكِن ليستَكمِلوا نصِيبَهم مِنَ الآخِرَةِ سالِمًا

---

[١] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣)

مُوفرا، لم تكَلِمهُ الدُّنيَا، ولم يُطغِه الهوى}[١]

وقد رُوِيَ عَن عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ- أنه دخل على النَّبِي ﷺ بمشربة لَهُ فَرفع رَأسه فِي البَيت فَلم ير فِيهِ إِلَّا أَهبَةٍ ثَلَاثَة، والنَّبِيّ ﷺ متكئٌ على رمِالِ حَصِيرٍ، ومَا بَينَه وبَينَه شَيءٌ، قد أَثَّرَ فِي جَنبِه، فَقلتُ: «يَا رَسُول الله، أنتَ على هَذِهِ الحَالَ، وفَارِسُ والرومُ وُهُم لَا يعبدُونَ اللهَ لَهُمُ الدُّنيَا» فَجَلَسَ النَّبِي ﷺ مُحمَرًّا وجهُه، ثمَّ قَالَ: «أَفي شكٍّ أنتَ يَا ابنَ الخطابِ؟! أما ترضى أن تكونَ لَهُم الدُّنيَا ولنَا الآخِرَةُ؟»[٢] هَذَا معنى الخَبَر.

ثبتنا الله وإيَّاكُم على الإسلَام والسّنة، وجنبنا الكفرَ والبدعةَ،
وحببَ إلَينَا الإيمَانَ وزينَه فِي قُلُوبنَا، وكرَّهَ إلَينَا الكفرَ والفسوقَ
والعصيانَ، وجَعَلنَا من الرَّاشِدينَ.

---

[١] رواه أحمد في الزهد (٣٤٢) عن وهب بن منبه، وكان ممن يروي الأخبار عن كتب أهل الكتاب.

[٢] رواه البخاري (٢٤٦٨) بألفاظ قريبة.

وقد أنشد ابو الحسن عَليٌّ بنُ أبي بكرٍ الطرازي فيهم:

دَعُونِي مِنْ حَدِيثِ بَنِي اللّتَيّا ... وَمِنْ قَوْمٍ بِضَاعَتُهُمْ كَلَامُ

تَفَارِيقُ الْعَصَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ[1] ... إِذَا ذُكِرُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامُ

إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْجَبّارِ مَالُوا ... إِلَى التّعْطِيلِ وَافْتُضِحَ اللِّئَامُ

وَإِنْ سُئِلُوا عَنِ الْقُرْآنِ قَالُوا: ... يَقُولُ بِخَلْقِهِ بَشَرٌ كِرَامُ

كَلَامُ اللّهِ لَيْسَ لَهُ حُرُوفٌ ... وَلَا فِي قَوْلِهِ أَلِفٌ وَلَامُ

وَلَوْ قِيلَ: النُّبُوَّةُ كَيْفَ صَارَتْ؟ ... لَقَالُوا: تِلْكَ طَارَ بِهَا الْحَمَامُ

إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ فَكَيْفَ تَبْقَى ... نُبُوَّتُهُ، فديتك والسّلَامُ

فَهَذَا دِينُهُمْ فَاعَلَمْ يَقِينًا ... وَلَيْسَ عَلَى مُهَجَّنِهِمْ مَلَامُ

لَهُمْ زُجَلٌ[2] وَتَوْحِيدٌ جَدِيدٌ ... أَبَى الْإِسْلَامُ ذَلِكَ وَالْأَنَامُ

وَزَمْزَمَةٌ وَهَيْنَمَةٌ وَطَيْشٌ ... كَأَنَّهُمُ دَجَاجٌ أَوْ حَمَامُ

وَإِزْرَاءٌ بِأَهْلِ الْحَقِّ ظُلْمًا ... وَتَلْقِيبٌ وَتَشْنِيعٌ مُدَامُ

وَقَوْلُ الْمُلْحِدِينِ وَإِنْ تَعَاوَوْا ... عُوَاءَ الْبَيْنِ[3] لَيْسَ لَهُ نِظَامُ

فَصَبْرًا يَا بَنِي الْأَحْرَارِ صَبْرًا ... فَإِنّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ

وَإِنّ الْحَقّ أَبْلَجُ لَا يُضَامُ ... وقَولُ الزُّورِ آخِرُهُ غَرامُ

---

(١) تفاريق العصا: قطع العصا عندما تكسر قطعا صغيرة. من كل أوب: من كل مكان.

(٢) زُجَل: طائفة.

(٣) البين: لعل المقصود به الموت.

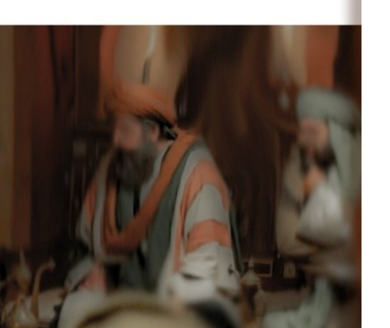
آخِرُه

والحَمد لله رب العَالمين

وصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد

وآله وسلم تَسلِيمًا

.



أول مخطوط المناظرة في القرآن (أم القرى)

٢٣٨

رسالة لشيخ الاسلام الامام العالم الفقيه موفق الدين
بن قدامة في كلام الباري جل وعلا ....

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم الفقيه شيخ الاسلام اوحد الانام
موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد المقدسي رحمه الله
الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله
اجمعين اما بعد فقد تكرر سوال بعض اصحابنا
اياي عن حكاية مناظرة جرت بيني وبين بعض المبتدعة
في القران فخفت من الزيادة والنقصان
فرائيت ان اذكر ذلك على غير سبيل الحكاية كي
لا يكون الزيادة في الحجج والاجوبة عن شبههم
كذبا مع تضمن ذلك لاكثر ما جرى ان شاء
الله تعالى والله الموفق المعين وهو حسبنا
ونعم الوكيل فنقول
موضع الخلاف ان ما نعتقد ان القران كلام الله تعالى

٢٤١

الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقال
عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا وقال تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وقال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين كفروا لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي
ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقال تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقال تعالى لولا انزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم فاخبر تعالى انهم طلبوا منه الاتيان بغيره او تبديله
ومرة انهم ادعوا القدرة على ان يقولوا مثله ومرة قالوا لولا أُنزل على
غيره علم يقينا انه هذا الموجود عندنا الذي هو سور وايات وحروف و
كلمات قال الله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلا وقال تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم
يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وهذا اشارة الى حاضر
والذي صرفت الامثال انما هو هذا القران العربي الذي يعرفه الناس قرانا و
سماه الله تعالى عربيا وهذا انما يوصف به النظم الذي هو حروف دون ما
لا يعرف ولا يدري ما هو قال الله تعالى كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
وقال تعالى وانه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربي مبين وقال تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا و
صرفنا فيه من الوعيد وقال تعالى انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
وقال تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا وهذه الآيات واشباهها

صرفت الامثال

آخر مخطوط المناظرة في القرآن (أم القرى)

(توحيد)

كتاب مناظرة الشيخ الإمام العالم
الأوحد العامل الفقيه الورع موفق الدين شيخ الإسلام
ناصر السنة مفتي الفرق قامع البدعة سيد العلما
معين أهل الحق أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن محمد بن
قدامة المقدسي رضي الله عنه وأرضاه
جرت بينه وبين بعض أهل البدعة في
القرآن العظيم وكلام الله القديم
رواية الفقير إلى الله تعالى محمد بن الحسن [illegible]
[illegible]

[illegible]

أول مخطوط المناظرة في القرآن (المكتبة الظاهرية)

تفاريق العصا من كل اوب اذا ذلوا وليس لهم امام ٥
اذا سئلوا عن الجبار مالوا الى التعطيل وافتضح اللئام ٥
وان سئلوا عن القران قالوا بقول الخلقه بشر كرام ٥
كلام الله ليس له حروف ولا في قوله الف ولام ٥
ولو قيل النبوه كيف صارت لقالوا انك طار بها الحمام
اذا قبض النبي فكيف تبقى نبوته فدينك والسلام ٥
فهذا دينهم فاعلم يقينا وليس على مهجنهم ملام ٥
لهم رجل وتوحيد حديد ابا الاسلام ذا اللؤ والانام
ورمرمه وهينه وطيش كانهم دجاج او حمام ٥
وازروا باهل الحق ظلما وتلقيب ولتشنيع مدام ٥
وقول الملحدين وان تعادوا وادعوا الدين ليس له نظام
فصبرا يا بني الاحرار صبرا فان الظلم ليس له دوام ٥
وان الحق ابلج لا يضام وقول الزور اخره غرام
اخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله وسلم تسليما ٥

آخر مخطوط المناظرة في القرآن (المكتبة الظاهرية)